القاسم بن الحسن

في أزقة المدينة المنورة الهادئة، نشأ القاسم تحت ظل والده الإمام الحسن عليه السلام. كان يتعلم منه أن الشجاعة ليست في القوة الجسدية فحسب، بل في ثبات القلب على الحق. كان والده ينظر إليه بعين الفخر، وكأنه يرى فيه مستقبلاً عظيماً سيسطره التاريـخ بمداد من نور.

رحل الإمام الحسن، وترك
القاسم أمانة في عنق عمه
الإمام الحسين عليه السلام.
لم يشعر القاسم باليتم يوماً؛
فقد كان الحسين يغمره بحنان
الأب وعظمة القائد. كبر الفتى
وهو يراقب عمه، يتعلم منه
كيف يكون الإيثار، وكيف ينمو
الإيمان في الصدور حتى يصبح
أقوى من الجبال.

حانت اللحظة التاريخية، وشد الركب رحاله من المدينة نحو مكة ثم كربلاء. كان القاسم يسير بجانب عمه، يراقب الأفق البعيد بقلب يملؤه اليقين. لم تكن الرحلة مجرد سفر عبر الرمال، بل كانت مسيرة نحو الخلود، وكان الفتى يدرك أن قدره يرتبط بهذا الطريق.

في ليلة العاشر من المحرم، جمع الإمام الحسين أصحابه وأهل بيته. ساد الصمت والسكينة، ثم توجه الحسين نحو ابن أخيه وسأله: "يا بني، كيف تجد الموت؟". لم يتردد القاسم لحظة، بل كان جوابه صرخة في وجه الزمن، تعكس وعياً يفوق سنوات عمره الغضة.

بابتسامة الواثق ويقين المؤمن، أجاب القاسم عمه: "يا عم، الموت في نصرتك أحلى من العسل". كانت هذه الكلمات كافية لترسم ملامح البطولة في تلك الليلة الحزينة. لم يكن القاسم يرى في الشهادة نهاية، بل كان يراها بداية لحياة أبدية بجوار والده وجده.

أشرقت شمس عاشوراء، وبدأ أصحاب الحسين يبرزون للقتال واحداً تلو الآخر. وقف القاسم يراقب المشهد، وقلبه يتفطر شوقاً للذود عن عمه. تقدم نحو الحسين يطلب الإذن بالقتال، لكن الحسين كان يرى فيه ريحانة أخيه الحسن، فتردد في السماح لهذا الغلام الصغير بمواجهة جيش جرار.

لم يستسلم القاسم، وتذكر وصية كان والده قد تركها له لمثل هذا اليوم. أخرج رسالة مخبأة وناولها لعمه. كانت الوصية تحثه على نصرة عمه الحسين بكل ما يملك. حين قرأها الحسين، بكى بكاءً شديداً، وأدرك أن القاسم قد أعد نفسه لهذا اللقاء منذ زمن بعيد.

قام الإمام الحسين بتجهيز ابن أخيه للمبارزة. لم يكن هناك درع يناسب حجمه الصغير، فقام الحسين بشق عمامته إلى نصفين؛ كفن بها جسد القاسم ولف الأخرى فوق رأسه. كان المنظر مهيباً، فتى في مقتبل العمر يرتدي ثياب الموت بروح المقاتل الصنديد.

انطلق القاسم نحو الميدان وهو يرتجز بكلمات تعبر عن فخره بنسبه وانتمائه: "إن تنكروني فأنا ابن الحسن، سبط النبي المصطفى والمؤتمن". اندفع بفرسه وسط الجموع، ولم يبالِ بكثرة الأعداء، فكان يقاتل بشجاعة ورثها عن أبيه وجده علي بن أبي طالب.

في وسط المعركة، انقطع شسع نعل القاسم. لم يشأ أن يبقى حافياً في الميدان، فانحنى ليصلحه وهو غير مبالٍ بالسيوف التي تحيط به من كل جانب. كانت هذه الحركة تجسيداً لمدى استخفافه بالموت وثقته المطلقة في قضيته، رغم صغر سنه.

تكالب الأعداء على الفتى الذي أعجزهم بشجاعته. ورغم الجراح التي نزفت من جسده النحيل، ظل القاسم يقاتل حتى الرمق الأخير. لم يكن يطلب مالاً ولا جاهاً، بل كان يطلب رضى الله ونصرة إمام زمانه، حتى سقط على الأرض منادياً: "يا عماه، عليك مني السلام".

هرع الإمام الحسين نحو صوت ابن أخيه، وشق الصفوف ليصل إليه. وجده ملقى على الرمال، والدم يغطيه. حمله الحسين بين ذراعيه ودموعه تمتزج بدم القاسم، قائلاً: "عزَّ واللهِ على عمك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا ينفعك". رحل القاسم، ليبقى اسمه منارة لكل شاب يطمح للحرية والكرامة.

النهاية

القاسم بن الحسن

الطبعة الأولى - ٢٠٢٦م